

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مؤسسة البتار الإعلامية

قِسْمُ التَّصْمِيمِ وَالْمُؤَنَّاظِرِ  
قِسْمُ الرَّفْعِ وَالنَّشْرِ

يقدم

•

•



**الجانبُ التعليمي في بناء الدولة الإسلامية**

**بقلم: أحلامُ النصر**

أهمية العلم في أي مجتمع كبيرة جدًا؛ فعليه يدور كل جانب آخر ويرتكز، وبمقياسه يكون المجتمع ناهضًا أو فاشلاً، وبدونه لا يمكن للإنسان أن ينجز أي شيء مهما أوتي من المواهب والمقدرات؛ إذ لن يستطيع اكتشاف ما فيه ولا اكتشاف ما حوله إلا بالعلم، الذي هو بمثابة مصباح داخلي وخارجي في آن واحد.

ولقد اهتم الإسلام اهتمامًا بالغًا بعقل الإنسان، وأنزله المنزلة اللائقة به، وحث المسلمين على التفكير والتأمل، وطلب العلم وتعليمه، وبرمج عقولهم على الاستفادة من كنوزهم؛ ليحسنوا العمل، ويقوموا بواجب الاستخفاف في الأرض خير قيام.

وحظي العلم في العصور الذهبية الإسلامية – التي كانت عصورًا ذهبية للتاريخ كله – باهتمام الكبار والصغار، والولاة والرعية؛ فخصّصت له الميزانيات الكبيرة، ودُفع عليه بسخاء، وشُجع العلماء وطلبة العلم عليه أيما تشجيع؛ كما كان دسمًا مفيدًا نظريًا وعمليًا؛ فلا غرو إذا في أن يزخر تاريخهم بالاختراعات والتأليف، والمصنّفات الشرعية والعلمية وحتى الأدبية.

\*\*\*\*\*

وهذا بالضبط ما دفع أعداءنا إلى محاربتنا علميًا وفكريًا وثقافيًا؛ من آليات التعليم إلى مضمونه إلى تحديد الغاية منه!.

فلو تأملنا في حال التعليم في عهد عملاء الاستعمار: لوجدنا أننا نعاني من ضعف وخبط المناهج التعليمية المعدومة شكلًا ومضمونًا؛ فهي تزيّف التاريخ، وتمسخ الأذواق، وتلوي الألسن، وتحجّم العقل عن الإدراك، وتقتل الإبداع، وتبغّض بالقيم والفضائل، وتزيّن الخطيئة والردائل للنفس، إلى آخر ما عايشناه جميعًا وعرفناه.

أضيفوا إلى ذلك أنها – على كل مساوئها هذه – تأكل الكثير من أعمار الجيل بلا فائدة، ثم يتخرج الطالب بلا علم ولا صناعة!، لا يجني إلا علمًا ضعيفًا "استهلاكيًا"؛ فمثلاً: من يدرس الفيزياء: يصبح مدرّس فيزياء بدل أن يصبح

مخترعاً!، ومَن يدرس الهندسة: يكون مصيره وظيفة إدارية عادية، في حين أننا لو احتجنا إلى إعمار أي شيء: لجئنا بالخبراء ولو من بلاد الواقع واق!، فلا الطالب يستثمر عمره وكسب وقته، ولا هو غدّي عقله بالعلم، ولا مرّن ساعديه بالعمل!، وكأنه يدرس ليأخذ شهادة يعمل بها ليعيش، لا ليبعد أو يغيّر ساكنًا في المحيط المنكوب.

ما كان هكذا الوضع على عهد أجدادنا أيام العز الإسلامي!؛ بل كان التعليم في عهدهم يجمع بين دسم المادة العلمية والإلمام بجوانبها وتنوع اختصاصاتها، وتوجيه الطالب من خلالها ليكون مستعدًا للعمل بها من حيث مضمونها لا من حيث اسمها – كما هو حال الشهادة –، فيكتسب العلم النظري إلى جانب الناحية العملية والخبرة، ولا يكون جاهلاً بحال من الأحوال.

وقد اختزلت تجارب السابقين على مدى القرون الماضية حتى توصّلت إلى ما يلي وفق التقسيم الآتي:

1- مضمون التعليم وأنواع العلوم، 2- الوقت التعليمي (بداية التعليم، مدة التعليم)، 3- طريقة التعليم.

\*\*\*\*\*

**أولاً - مضمون التعليم وأنواع العلوم:**

-----

إننا إن نظرنا إلى العلوم: وجدنا أن منها ما هو ضروري لا غنى عنه، ومنها ما يكفي العلم برؤوس الأقلام فيه وترك التبخر بدقائقه لأهل الاختصاص؛ وذلك وفق مستويات تحددها فائدة كل علم وأهميته، وعلى صعيد المجتمع والفرد:

## أ. على صعيد المجتمع:

1- علوم الشريعة بأنواعها؛ القرآن الكريم وما يتعلق به من التجويد والقراءات وعلوم القرآن والتفسير، العقيدة الإسلامية وعلوم الأديان الوضعية - فلا "دين" سماويًا إلا الإسلام - والمذاهب والرد على الشبهات، السيرة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين، الفقه بأبوابه ومذاهبه المعتمدة، أصول الفقه، الفرائض.... إلخ.

2- علم الطب والصيدلة والأعشاب.

3- العلوم الحيوية والطبيعية والهندسية: علم الهندسة والرياضيات وال عمران، والتاريخ والجغرافيا، والحيوان والنبات، والفلك والبحار.... إلخ.

4- علم اللغات والتقنية.

## ب. على صعيد الفرد (العلوم الأساسية دون الاختصاص):

القرآن الكريم والتجويد والتفسير، العقيدة، الفقه، السيرة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين، أساسيات الطب والرياضيات والجيولوجيا، اللغة العربية...

ثم إن أراد التوسع في مجال ما – بعد الحزق بالعلوم الأساسية كلها -: كان مختصًا فيه.

**والغاية من هذا التصنيف:** مراعاة العلوم بأنواعها الأولى فالأولى؛ فكل فرد في المجتمع: لا يمكن في المقام الأول أن يعيش دون علم بالشريعة؛ وذلك لكي يعرف ما هي حقوقه وما هي واجباته تجاه ربه عز وجل، وتجاه نفسه، وتجاه مجتمعه.

- إن المرء لا يستطيع بحال أن يستغني عن العقيدة؛ حتى لا تخالط بشاشة إيمانه شائبةً أو شبهة، أو يقوم ببدعة أو يعتقد خلاف الصواب، أو يكون خوفه من الله تعالى ناقصاً فيقترب السيئات والمنكرات؛ مما يهدد المجتمع بالفساد.

- وكذلك لا يمكن أن يعيش حياة ناجحة من دون العلم بالفقه؛ فعليه مدار المعاملات كلها؛ الاجتماعية والشخصية والمالية وسائر الأمور وفق الأبواب الفقهية... وهكذا حال بقية العلوم الشرعية الأساسية.

بينما القراءات مثلاً: ممكن أن تُترك لأهل الاختصاص، ما دام الفرد العادي قد تعلم الأساس؛ وهو قراءة القرآن الكريم على رواية متواترة مطبقاً لأحكام التجويد، وفي بلاد الشام مثلاً: تشتهر رواية حفص عن عاصم، وفي بلاد المغرب: تشتهر رواية ورش عن نافع وهكذا، وكذلك علم أصول الفقه ودقائق علم الفرائض: كلها ممكن أن تدرج تحت قائمة الاختصاص.

- ثم إن المرء بعد أن يعرف دينه: لا بد أن يكون بصحة جيدة وجسد صحيح ليتمكن من العمل، وإذا ما حصل على الدين ثم الصحة: هنا يبدأ بتحسين حياته من ناحية السكن والعمل والصناعة والاختراعات، ويتعرف إلى علوم الطبيعة والجيولوجيا، ويبحر في حياة السابقين، ثم تأتي اللغات والتقنية في ذيل القائمة؛ لأنها (وسائل) وليست غاية في حد ذاتها، ويستطيع المرء أن يكون عالماً دون أن يلم بكل اللغات مثلاً؛ بدليل أن أجدادنا الصحابة كان منهم علماء أفذاذ رغم جهلهم بالقراءة والكتابة؛ لأنهم استغنوا عنها بالذاكرة القوية؛ فالقراءة – ومثلها الكتابة – (وسيلتان) للعلم، وهكذا اللغات والتقنية.

**\*ملاحظة:** هذا لا يعني أن نستغني عن علم الوسائل؛ فهي مهمة لحفظ العلم ووسيلة للوصول إليه، ولكن المغزى: ألا نعطيها أكبر من حجمها بحيث تغطي على العلوم الأساسية الأهم، أو نجعل تعلمها غاية في حد ذاته؛ فما الفائدة من إضاعة العمر في تعلم عشرين لغة يُعرف من خلالها كيفية نطق كلمة مثلاً، بينما لا تستطيع هذه اللغة مجردة أن تكسبنا علماً معتبراً له فائدة عملية؟!؛ فالمدار على العلم إذاً لا على اللغة، ومثلها بقية الوسائل الأخرى..

وللأسف ما يجري الآن في زماننا هو العكس تمامًا؛ حيث صارت الأولوية للغة والتقنية على حساب العلوم الشرعية والعلوم الأساسية الأخرى، بل صار العلم الشرعي آخر الاهتمامات هذا إن كان ضمنها أصلًا؛ ولذلك اختلطت أمور حياتنا وفقدت النظام والاستقرار الفكري والعملية، وبات الصواب أمرًا عزيز المنال في كل أمر إلا ما رحم الله.

إن كلَّ علم مهمٌّ، ولكن هناك علم ضروري (غاية) في ذاته، وهناك علم (وسائل) تكميلي لا يغني عن الأول أبدًا.

\*\*\*\*\*

## ثانيًا - الوقت التعليمي:

-----

**1- بداية التعليم:** الأفضل أن يبدأ تعليم الطفل مبكرًا؛ من سن السادسة أو السابعة - وهي السن التي قال النبي صلى الله عليه وسلم إنها بداية تعليم الصلاة للأطفال -.

لكن تجدر الملاحظة إلى أن مَنْ فاتته التعلُّم في ذلك السن: فلا يعني أنه قد حُرِم من العلم نهائيًا؛ لأن غاية الإسلام هي الحصول على الفائدة التي تكمن في أن يتعلم الجميع؛ إذ إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وإن كان البدء في الصغر أفضل من كل النواحي النوعية والوقتية، إلا أن الأمر من حيث هو: ليس محددًا بالعمر بحيث إن فات فقد فات العلم، ولا ننسى أن من كبار الصحابة وعلمائهم مَنْ لم يُسَلِّم إلا بعد أن تجاوز سن الشباب، ومع ذلك: نهل من العلم الكثير، وأن بعض كبار علماء التابعين: بدؤوا بطلب العلم بعد أن تجاوزوا الثلاثين من العمر!، ومع ذلك كانوا علماء أفذاذًا، إذًا: ما فات الوقت على أحد، وهذا يفيد في ألا يتكرر الخطأ مع أولادنا: بحرمانهم من العلم الحقيقي في أول سني حياتهم.

**2- مدة التعليم:** هي سن الاكتساب؛ إذ كان المتعارف عليه سابقاً أن الطالب يكتسب العلوم اللازمة الضرورية وينتهي منها في سن الرابعة عشرة؛ وقد ورد في الأثر: (لأعبوهم سبعا، وأدّبوهم (أو علّموهم) سبعا، وصاحبوهم سبعا، ثم اتركوا لهم الحبل على الغارب)، وهذا الكلام تناول أكثر من أمر في تربية الجيل، لكنه بيّن أن المرحلة المختصة بالتعليم (الأساسي الضروري) هي سبع سنوات، وهو ما كان عليه الحال سابقاً، وهذا مهم جداً؛ فمن ناحية: لا يضيع الطالب وقته لا على المدى القريب؛ إذ يكون جُلّ يومه زائراً بالتعلّم واكتساب الخبرة من الكبار والعلماء في العلم والحياة؛ فلا يضيع وقته في سفاسف الأمور وما لا يفيد، كما لا يضيع وقته على المدى البعيد؛ إذ يجد نفسه أنه أصبح عالماً صغيراً - على الأقل فيما يحتاجه - وهو ما يزال دون العشرين!، ولا ننسى أن بعض علماء العصور الذهبية: أُذِن لهم بالإفتاء وهم في الثامنة عشر من العمر!، فيا حسرة على حالنا اليوم إلّا مَنْ رحم الله!.

ثم إنه متى أنهى العلوم اللازمة ولم يعد جاهلاً بها: نُظِر في أمره؛ فإن كان ممّن له حضور ذهن ومواهب تؤهله ليختص ويتبحر في مجال معيّن من مجالات العلوم: فهنا يشرف على تعليمه العلماء المتخصصون في ذلك المجال؛ سواء كان دينياً أو طبياً... إلخ، وتكون نفقاته على الدولة إن كان الاختصاص يستهلك وقته كله ولا يترك له فسحة للعمل.

أما إن كان الطالب من النوع الذي تكمن قوته في ساعديه - ولا ننسى أنه أنهى تعلّم الأمور الأساسية سألقة الذكر -، وكان لديه ميل لامتهان مهنة من المهن: فهنا يُحال على معلّم المهنة المطلوبة لإتقانها وحذقها؛ بحيث لا يفتح دكانه أو مشروعه الخاص إلّا بعد شهادة من معلّم المهنة بأنه قد أتقنها بما يؤهله كفاية ليمارسها، وكان اسم معلّم المهنة قديماً يُعرف وفق الأمثلة بـ: شيخ النجارين، شيخ الحدادين... إلخ، ولحقاً: إن غش العامل أو عيبَ عليه عمله بسبب تقصير منه: تُزرع منه الشهادة، ولا يُسمَح بالتعامل معه فيما يخص مهنته إلّا بعد أن يعيد تعلمها ويحذقها مجدداً.



**وثمة ملاحظة هنا:** أن الناس كانت بفضل ذلك تأمن على أعمالها والقيام بشؤونها، دون أن تخشى من غش هذا وإهمال ذاك؛ فالعامل نفسه لن يجروء على التقصير خشية الفضيحة، لا كما هو الحال في أيامنا؛ حيث بات العامل الحاذق الأمين كالعملة النادرة!.

وفي تعلّم الناس جميعًا – على اختلاف مراتبهم وأعمالهم - للأمور الأساسية: أمر مهم للغاية لا بد أن نركز على كل جزئية منه؛ لأن جميع أفراد المجتمع بهذه الطريقة: لن يكونوا جهلة؛ فلا يكون العلم حكرًا على فئة بعينها، ويكون التاجر مثلاً: عالمًا بأحكام البيع وكل ما يتصل بالتجارة، ومثله صاحب كل مهنة.. ومن هنا سنتخلص من مشكلة كبيرة نعانيها اليوم؛ حيث إن علماء الدين في زماننا لا يستطيعون الإبداع والتبحر في الاختصاصات بنفس الدرجة التي كان عليها العلماء السابقون، ليس بسبب الحكام الطغاة والظروف الحالية وحسب، بل أيضًا بسبب جهل عوام الناس بأبسط أمور الدين؛ فنجد أن العالم في بلادنا يفني عمره وهو يعلم الناس أحكام الصلاة والطهارة والبيع!، بينما لو كانوا يعلمونها من الأساس، ويعرفون كيف يراجعونها في كتب الفقه عند الحاجة: لتفرّغ العلماء إلى الإنجاز والتبحر والإبداع، ولما احتاج لهم الناس إلا في الأمور الدقيقة المتعلقة بالاختصاص لا غير، وهذا لا يعني أن عصرنا أقفر من العلماء المتبحرين، ولكن ليس بالدرجة المطلوبة التي كان عليها أسلافنا.

\*\*\*\*

### ثالثاً - طريقة التعليم:

-----

يُفترض بكل طالب علم – خاصة إن كان صغيرًا – أن يكون صافي الذهن حاضر العقل، إلا أن الناس تتفاوت في قدراتها ودرجة استيعابها، والحقيقة أن نظام المدارس في بلادنا سيئ جدًا من هذه الناحية!؛ إذ يضطر الطالب المجتهد إلى انتظار زملائه الخاملين كي يفهموا معلومة ما حتى يتم الانتقال بالجميع إلى



معلومة جديدة!، وهنا يضيع على الطالب المجتهد وقت وجهد، وقد يجعله يُصاب بالعدوى من زملائه، ولا يجعله متحمسًا لفهم كل معلومة من المرة الأولى!.

أما في السابق: فكان العلماء يراعون هذه النقطة في الطلاب؛ بحيث تُقسَّم حلقات العلم، ويكون لدى كل أستاذ عدد محدود من التلاميذ يركّز عليهم ويسهل عليه أن يفرزهم وفق مستوياتهم؛ فلربما تجد فتى يافعًا بدأ مبكرًا بمرحلة الاختصاص، وتجد مَنْ هو في سنّه ما زال يتعلم الأساسيات الأولى؛ لأن القاعدة الذهبية عند أسلافنا كانت: "الكمّ مع الكيف"، ولا يغني كمّ عن كيف؛ فليس المهم – كما في زماننا – أن يصل المرء إلى سن معينة ويحصل على شهادة، بل المهم أن يكون ملماً بكل جزئيات ما توصّل إليه وأخذ شهادة تشهد على حذقه به، وما لم يصل: فلن يتجاوز أية مرحلة حتى ينهيها تمامًا، والكلام طبعًا عن العلوم الأساسية.

**\*كلمة في طرق التعليم الحديثة:** إن من أسباب مشكلة التعليم في بلادنا أن المختصين والتربويين انشغلوا بالبحث في الوسائل عن الاهتمام بمضمون العلم نفسه، مع أن الطريقة ليست مهمة قدر مضمون العلم، بل إن دسم المادة العلمية ونوعها: هما العامل الذي يفرض الطريقة المثلى لتعلمها!، وإلا فلم كان السابقون علماء جهابذ رغم تواضع أدواتهم وأمكنة دراستهم، بينما نجد طلابنا – إلا من رحم ربي – فارغي العقل من العلم والثقافة رغم المقاعد الفاخرة والمدارس المجهزة بأحدث الوسائل؟!؛ ذلك بسبب سياسة الحذف والتخفيف، وبسبب غاية العلم الاستهلاكية التي تسحب منه دسمه بدل أن تكون غاية إبداعية إنتاجية عملية، إضافة إلى الاهتمام بالشكل وإهمال المضمون، وعدم مراعاة أنواع العلم وترتيبها السابق، وكذلك طريقة الامتحانات التي تركز على حفظ المادة لا على هضمها وفهمها؛ فكأنه اختبار للذاكرة وحدها لا لمدى استيعاب الطالب وقدرته على تطبيق ما تعلّمه عمليًا؛ فيُطلب منه مثلاً أن يعدد القوانين بدل أن يُطلب منه حل مسألة في اختصاصه بناء على ما درس من تلك القوانين، وهذه الطريقة الفاشلة في الامتحانات: تُبعد المرء عن الناحية العملية والإبداعية، وتجعله بالكاد يتأهل لوظيفة سطحية لا يهتم فيها إلا بقبض

الراتب!؛ فبات من الطبيعي جدًا أن يكون لدينا جيوش من العاطلين الذين لا يعرفون ماذا عليهم أن يعملوا، ولا يستطيعون بنفس الوقت أن يكسبوا المال إلا بما معهم من الشهادات!، ويجدون أنهم جاوزوا العشرين وربما الثلاثين دون علم حقيقي أو صنعة أو حتى تأسيس!..

فلا بد من إعادة برمجة هيكلية التعليم كلها؛ حتى لا نبقى ضمن القالب الهش الاستهلاكي المهدد على الدوام بالخطر، والذي أصر أعداؤنا على وضعنا فيه؛ لنكون شعوبًا استهلاكية تحتاج حتى إلى من يصنع لها الطعام وينتج لها المبراة والدفتري، وصولاً إلى أكبر الأشياء.

وإن دولة الإسلام التي نقضت أساس الباطل فكريًا وحدودًا وأنظمة: لحرّية بها أن تستمر في توجيه الصفعات القاتلة لأعداء الإسلام؛ عبر تكريس علم حقيقي منتج لدى أجيال الخلافة، تعيد للأمة أمجادها السالفة، والله تعالى وليّ التوفيق.

\*\*\*\*\*

•

•

ادعوا لإخوانكم المجاهدين



**مؤسسة البتار الإعلامية**

**Al-Battar Media Foundation**

لَا تَسُونَا مِنْ صَالِحِ دَعَائِكُمْ